



الخميس 18 فبراير 2010 12:03 م
كتب: بقلم: جمعة أمين عبد العزيز

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وبعد..

فالحقيقة التي لا مرأى فيها أن الحديث عن الإمام البنا ومشروعه الإسلامي الإصلاحى لا يكفيه سطور أو صفحات كتاب مؤلفة للإحاطة بهذا المشروع العظيم، وأكبر دليل على ذلك الأعداد المَهولة من الكتب الإسلامية التي تناولها تلاميذه وأحباؤه والدارسون، الذين تناولوا نواحي من هذا المشروع الكبير في رسائل للماجستير أو الدكتوراه.

ذلك لأنك إذا تحدثت عن الإمام البنا الذي كتب عنه أتباعه وغير أتباعه، مسلمين وغير مسلمين، عربًا وغير عرب، متناولين تحليل شخصيته ونشأته العلمية الإسلامية التي تربى عليها في بيت مسلم برعاه والد فقيه فدّ، فلا تدري من أين تبدأ هذه الشخصية؟ هل مع تفوقه في صباه وشبابه أم في محاوراته ومحاضراته أم مع أساتذته وشيوخه أم في رسائله ومخاطبة الملوك والحكام والرؤساء، باختصار هو موسوعة علمية تجمع مجالات العلوم الإسلامية، بما فيها السياسية والشرعية، ولم يكنف الإمام بحفظها وشرحها ودرسها، وإنما صاغها كمنهج حياة علمي وعملي، تمثّل في جماعة الإخوان المسلمين التي ما زالت تحمل هذا الفكر دعوةً وتطبيقًا، وتحملت ما تحمّلت في سبيل ذلك الكثير من التضحيات بالنفس والنفيس، شاء الله أن يكون الإمام البنا أبرز شهدائها.

يذهب البنا إلى لقاء ربه وبقيت دعوته؛ لأنها دعوة الإسلام الباقية والخالدة، وتعلّم أتباعه الدرس من قول ربنا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144)، وما بدّلوا وما غيروا بل ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (23) ﴿الأحزاب: من الآية 23﴾.

لقد شهد بعبقريته القاصي والداني من المفكرين وكبار العلماء، وسطّروا هذه الشهادة في سطور موثقة باقية إلى يومنا هذا، ولكي نستشعر عظمة هذا المشروع الذي حاربه المناوئون للإسلام والكارهون لشريعته، والذين ارتعدت فرائصهم منذ الإعلان عنه لشعورهم بالخطر المحدق بهم ابتداءً من المستعمر الخارجي إلى المستعرب الداخلي، فأعلن هؤلاء جميعًا الحرب التي ما زالت مستعرة حتى يومنا هذا على هذه الجماعة المباركة ولم يسترخ لهم بال حتى نال الشهادة وهم يطنون أنهم أنهوا هذه الدعوة المباركة باستشهاده حين قال قائلهم: ﴿ذُرِّيُّنِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (26) ﴿غافر: من الآية 26﴾.

نه منطلق المستكبرين المتجبرين الذين يقولون دائمًا في كل عصر ومصر.. ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (29) ﴿غافر: من الآية 29﴾، ونسوا ﴿بَلْ نَعْبُدُ بِالْحَقِّ عَلَى التَّابِطِ فَبَدِمَعُهُ قَادًا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: 18)، وتنتصر الدعوة ورجالها في الدنيا قبل الآخرة ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَمِّتُهُم بِالْأَشْهَادِ﴾ (غافر: 51)، فليمتّ المجاهدون، ونزهرق أرواحهم، وتبقى الفكرة والدعوة، ويستمر الرجال في حملها، مهما أصابهم من بلاء، وليسد المنهج وتعل كلمة الله.. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 144).

ها أنا ذا أختصر لك المراحل التي مرّت بها دعوة الإسلام؛ لتري أيّ جهد بذله ذلك الملهم للمحافظة على الفهم الدقيق للإسلام:
أولاً مرحلة الإسهاد بتطبيق الكتاب والسنة نصّاً وحرّاً كمنهج حياة.

ثانياً: مرحلة الاستعمار بعد الاضمحلال، وللأسف بعد الخسارة ترك أثره السيئ في المجتمع، من حيث الفهم، بل العادات والتقاليد ومسخت الشخصية المسلمة.

ثالثاً: مرحلة التبعية والاحتواء وفيها حرص المستعمر على بناء قاعدته من خلال المدرسة، والصحيفة، والثقافة، والنفوذ الاجتماعي.

وانتهت المرحلة برأس جسر للعدو في فلسطين المسلمة ما زلنا نعاني منها حتى الآن.

كما انتهت بجمود الدولة العثمانية وسقوط الخلافة، ومنذ ذلك اليوم وهناك صراع شهده الإمام البنا بين الذين يريدون علوّاً في الأرض وفساداً ومن يريدون للإسلام سيادةً وتطبيقاً، ومن هذا اليوم خطّط الإمام البنا لمواجهة هذا الفساد بمشروعه الإسلامي.

يبدأ التفكير السليم بخطواته المرسومة وكانت الرسائل التي أولها رسالة (إلى أي شيء ندعو الناس؟!)

ونمرة هذه الرسائل والدروس المستفادة منها:

أولاً: التعرف على المؤسس..

من حيث دقة فهمه ونشأته وأسرته المتدينة وثقافته وقيادته، والثقة في التلقي منه والتلمذة على يديه وريادته للجماعة.

ثانياً: الفهم الدقيق للإسلام..

- تحرير العقيدة من الجمود (اهتم بأثر العقيدة ولم يكتف بعملها فحسب).

ب- التخلّص من النظرة الجزئية للإسلام إلى شموله وعمومه.

ج- انطلاق العقل اجتهاداً بالقواعد الأصولية وإعطاء نظرة إسلامية لمشكلات عصره.

المناهج الثلاثة التي وضعها: منهج العقيدة- منهج العبادة- منهج الحركة.

بذلك يكون قد وضع مشروعه موضع التنفيذ من خلال التطبيق العملي؛ بأن رسالة الإسلام تربية قبل أن يكون رسالة تشريع.

هذه الرسالة تحتاج إلى:

أ- تربية رواحل (يحملون هذه الدعوة- صدقوا ما عاهدوا الله عليه- يتحلون بتقوى الله- وحسن الخلق- اللهم إنك تعلم أن هذه القلوب... يشعرون بعظمة الرسالة- ويعتززون بالانتساب إليها- وينفقون في نصر الله لها).

والمثلة للرجال كثيرة منذ النشأة حتى الآن ولا نستطيع أن نحصى أسماءهم.

ب- لم يكتفِ بالتربية الإيمانية ولكن مع الإيمان الوعي (وعى ديني- وفكري- وسياسي- وحركي).

ج- تكوين رأي عام للمشروع الإسلامي داخليًا وخارجيًا، لم يكتفِ بنشره بين عامة الناس، بل بين العلماء والمفكرين والحكام والرؤساء والملوك بمخاطبتهم وإرسال الرسائل إليهم.

د- عمل على استمرارية الدعوة ورؤيتها بربط أتباعه بالفكرة وليس بشخصه، فاستمر إلى يومنا هذا وبوم أن هتف أحد الإخوان في إحدى المؤتمرات باسمه غضب ونهاه أن يعود لمثل ذلك.

بل يوم أن قال له أحد تلاميذه ماذا نعمل من بعدك يا إمام؟ قال: أوقلتها؟ والله لو حدث هذا ما ربيت فيكم رجلاً.. كونوا عبّادًا قبل أن تكونوا قوادًا تصل بكم العبادة إلى أحسن قيادة".

هـ- أوضح منهج التغيير الذي يبدأ بتربية الفرد، ورفض مبدأ الثورة أو استخدام القوة، ويبيّن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، فركّز على أن **«اللَّهُ لَا يُعَيِّرُ مَا يَفْعَلُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»**. كونوا عبّادًا قبل أن تكونوا قوادًا تصل بكم العبادة إلى أحسن قيادة.

منطلقنا تعبدى لله رب العالمين **«قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»** (الأنعام: 162).

يسس الهدف هو الوصول إلى السلطة، ولكن تعبيد الناس لله رب العالمين.. **«شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (13)»** (الشورى: 13).. إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله.

و- بيّن في النهاية أن للطريق معالم؛ أولها الإيذاء والاستهزاء ثم الصدُّ عن سبيل الله وإعلانُ العداء لهذه الدعوة، البلاء قرين الإيمان والمعركة بينهم وبين الله.. **«فَلَمْ تَفْتَلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ»** (الأنفال:).

ز- أن العاقبة للمتقين، والنصر قادم قادم لا محالة **«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5)»** (القصص: 5).

وأخيرًا لقد تعلمنا من هذه الرسائل كيف نقيم جماعةً من الجماعات؟

لا بد أن نتأكد من معرفة:

- التصوف الذي ندعو إليه.

- والفكر والمنهج الذي تحمله من حيث:

أولاً: التصورات والاعتقادات والقيم والمبادئ التي تقوم عليها هذه الجماعة؛ من حيث عاداتها وأساسها الفكري والعقدي الذي قامت عليه، ونظرة هذه القيم والمبادئ للإنسان والكون والحياة.

ثانيًا: الأشخاص الذين يدعون إلى هذا المنهج من حيث: سلوكهم ككل- أخلاقهم كمجموعة- تكوينهم العقلي- مدى تطبيقهم لما يدعون إليه- تحمّلهم المشاق والتضحية من أجله- ثم موقع هؤلاء الأفراد من المجتمع.

ثالثًا: نتائج هذا الفكر وأثره في حياة معتنقيه، ثم أثره في أسرهم ومجتمعهم.

رابعًا: هل هذه النتائج وهذا التغيير الذي حدث تغيير وقتي، ينتهي بزوال هؤلاء الناس أو أن هذا الفكر مستمرٌ بعدهم يرثه جيل بعد

خامسًا: هل هذا المنهج يُكره الناس على اعتناقه ولا يسمح لمعارضيه بصوت ولا يسمح بالرأي الآخر ولا ينتصح بنصيحة أو مشورة أم أن معتنقيه يلتزمون به ولا يلزمون به أحدًا، ويقنعون بالحجة والقول الحسن ولا يُكرهون أحدًا عليه، ويتركون الناس يختارون؟ ومن هنا يقتنع المسلم بصفة هذا المنهج فيضحّي من أجله.

والحمد لله رب العالمين.

* نائب المرشد العام للإخوان المسلمين.

<https://ikhwanonline.net/article/60598>